نهر الأردن بحث في الجانب الشرقي
بين المصادر التاريخية والاكتشافات الأثرية الحديثة

د. محمد وهيب•

مقدمة:-

تتبع أهمية نهر الأردن من الدور الحضاري الذي اضطلع به منذ فجر التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، حيث عبر الكثيرون منطقة النهر في كلا الاتجاهين، فمنهم الأنبياء والرسل والشعوب والجيوش،فكان العبور بمثابة الاستمرار والتواصل عبر المخاضات التي تشكلت بفعل الطبيعة والجسور التي أنشأها الانسان فيما بعد.

نهر الأردن في اللغة تعني كلمة الأردن في الهندية القديمة النهر الخالد YORDON حيث أن "YOR" تعني سنة، و"don" فتعني نهر أما في السامية فإن كلمة الأردن مشتقة من الجذر"النزول" وتعني: الجدول الذي ينحدر بسرعة، وهو اسم يصف بدقة نهر الأردن وخصوصا في المنطقة العلوية فوق بحيرة طبريا.

وهناك مصطلح آخر لنهر الأردن في اللغة العربية وهو الشريعة (مكان السقاية) وأحيانا يطلق عليه اسم الشريعة الكبيرة. اما أقدم مرجع لاسم نهر الأردن وجد في السجلات المصرية للسلالة الحاكمة التاسعة عشرة والتي وثقت النهر تحت اسم yar-ar-du-na والذي يشبه الاسم الكنعاني ياردون(YARDON).[1]

مصادر نهر الأردن

تتكون منابع نهر الأردن جراء ذوبان الثلوج في قمة جبل الشيخ يغذي نهر الأردن أربعة روافد، وعند تقاطع هذه الروافد يبدأ نهر الأردن بالجريان باتجاه الجنوب وهذه الروافد هي:

- نهر ليدان: المصدر الرئيسي النابع من غرب جبل الشيخ
- نهر بانياس: ينبع من سوريا ويتحد مع نهر ليدان عند بحيرة الحولة، ومنبعه الرئيسي هو عين ليدان التي تقع في موقع دان في فلسطين.
- نهر الحاصباني: يعتبر المصدر الذي ينبع من لبنان من غرب جبل الشيخ ويجري موازياً لنهر الليطاني ومن ثم يبدأ نهر الأردن.
- نهر البراغيت: وهو جدول ينبع من غرب وادي الشيخ في لبنان، ويصب في نهر الحاصباني.[2]

البيئة:

المناخ

• د.محمد وهيب ـ معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث ـ الجامعة الهاشمية.

[1] Encyclopedia Britannica. 1966 Vol. 13, London 1966 p. 181 – 82 + Har,E, 1978 The pride of Jordan 1978,BA, 41. No2,p 65- 75

[2] Lynch,L 1849 Expedition to the River Jordan and the Dead Sea Philadelphia.

يختلف مناخ الجزء السفلي عن مناخ الجزء العلوي من نهر الأردن. فالجزء السفلي ذو مناخ معتدل، بنما الجزء الأوسط والجنوبي مناخه صحراوي، ويعتبر المناخ الحار والانحرافات الكثيرة التي تحدث على ضفتي النهر من العوامل التي تسببت بنمو الغابات الكثيفة.

الحياة النباتية والحيوانية:

كانت منطقة الزور تدعى قديماً غابة(goan) التابعة لنهر الأردن والتي تعني (الكبرياء) ومن بين المزروعات التي كانت في المنطقة، القطن، الأرز، السكر والعديد من النباتات الاستوائية الاخرى. وقد كان وادي الأردن مليئاً بالنباتات مثل الصفصاف، ألاكاسيا والطرفاء، الدفلى، النباتات الشوكية، البوص، ذرة المكانس والشجيرات الصغيرة.[3]

كانت هذه المنطقة موطنا للأسود التي انقرضت في القرن التاسع عشر وكذلك الغزلان، النمور، ابن آوى، الذئاب، الخنازير البرية والضباع. وتواجدت في المنطقة أكثر من مائة نوع من الطيور، 23 نوعاً منها في الزور و45 نوعاً كانت تعبر الوادي في رحلاتها السنوية، كما تواجدت ايضا الفئران الصحراوية، البط البري مالك الحزين، الجهلول، النورس، الحمام، الحجل، الصقر، اللقلق، السنونو والرو. وقد تواجدت كل هذه الأنواع في منطقة نهر الأردن لكونها بقعة مائية.[4]

نبذة تاريخية:

يملك نهر الأردن شهرته من صفاته الجغرافية الفريدة ومن الارتباط التاريخي والروحي لموقعه بأحداث عديدة حيث يجري نهر الأردن في منطقة تسمى وادي الأردن وهو جزء من وادي الصدع العظيم الذي يمتد من قارة اسيا وحتى قارة إفريقيا ويتميز بالمرتفعات المحيطة به من كلاً الجانبين.[5]

وقد بنيت جسور كثيرة على نهر الأردن خاصة في المنطقة الواقعة قبل مصبه في البحر الميت وذلك لتسهيل حركة العبور وذلك لتسهيل حركة العبور بين جانبيه، ولعب الجانب الشرقي دوراً هاماً في العصور القديمة ودلت نتائج المسوحات والتنقيبات على ذلك كما سنوضح.

الاكتشافات الأثرية الحديثة:

أظهرت المسوحات التي جرت في عدة مناطق في وادي الأردن التواجد الدائم للإنسان فيها ـ خاصة في الجانب الشرقي ـ وذلك منذ العصر الحجري وحتى العصور الحديثة، وقد تم دعم هذه الأدلة من خلال عمليات التنقيب التي تمت في الجانب الشرقي من نهر الأردن ابتداء من نهر اليرموك وحتى البحر الميت.

---

[3]Har 1978, 70.

[4]Palestin.e and Trans Jordan, Oxford, 1943,

[5]Bender,F,U D Geology of Jordan, Germany, Berlin.

وأكدت عمليات الحفر والمسح المتعددة أن الضفة الشرقية من النهر كانت مأهولة أكثر من الضفة الغربية للنهر ويعود ذلك لتعدد الموارد المائية الموجودة. ومع ذلك فإن ضفتي النهر كانتا مرتبطتين بمنطقة البحر المتوسط من خلال الطرق التجارية المنتشرة في المنطقة والمرتبطة بالمراكز الحضارية في الأردن ودمشق.

لقد وثق زوار المنطقة بلا استثناء خلال القرن التاسع عشر والعشرين معلومات تتعلق بالحياة البيئية ومنها النباتات والحيونات والمواقع الأثرية والتاريخية ومنذ1أقدم العصور ابتداء من العصر الحجري القديم.

خلال العصر الحجري القديم 45.000 - 20.000 ق.م

تميز الجانب الشرقي من نهر الآردن بانتشار مواقع هذه الحقبة التي تؤرخ ما بين 45.000 -20.000[6] عام قبل الميلاد في كل من موقع المرزة الشمالي [7]والمرزة الشمالي الشرقي وموقع أبو ألوبة وموقع طبقة فحل ووادي الحمة(32) ووادي الحمة(34)[8] حيث تؤكد هذه المواقع استيطان الإنسان الأول واعتماده على ما توفر الطبيعة له من موارد.

خلال العصر الحجري الانتقالي 20.000 - 10.300 ق.م

وتؤرخ هذه الفترة ما بين 20.000 - 10.300 عام قبل الميلاد حيث استمرت مناطق الجانب الشرقي لنهر الأردن مأهولة وخاصة في موقع طبقة فحل[9] حيث كان الإنسان ما زال غير مستقر ويأوي للكهوف والمغاور ويعتمد على الصيد والمصادر الطبيعية.

خلال العصر الحجري الحديث 15.000 - 4200 ق.م

كشف عن بقايا هذا العصر في وادي زقلاب[10] وكذلك في موقع أبو حامد[11] حيث استطاع الإنسان من بناء قرى زراعية[12] متطورة أسهمت بشكل واضح في تطور

---

[6]Deborah, O 2001 The Paleolithic Period, including the Epipoleolithic in Archaeology of Jordanl, Macdonald, B, Adams, R and Bienkowskip (eds) p 31-65.

[7]Mohesisen,1988 Survery of Prehistoric Care Sites in the Northen Jordan Valley. In A.N Garrard and H.G Gebel (eds) The Prehistory of Jordan 503-23. British Archaeological Reports. P.515.

[8]Edwards,P.C. etal 1988 Late Pleistocene Prehistory in the Wadi al-Hammeh Jordan Valley. In A.N Garrard and H.G Gebel(eds) The Prehistory of Jordan 525- 565.Oxford, British archaeological Reports.

[9]Moheisen, M and H. Wada 1995 An analysis of the microlithic at Kharaneh IV, phase D, square A20/37 paleorient 21.1: 75 – 75.

[10]Banning E, 1995 Herders or Homesteaders A Neolithic Farm in Wadi Ziglab, Jordan Biblical Archaeologist, 58 1:2-13.

[11]Dollfus, G and Kafafi, Z1988 Abu – Hamid Village du 4e millenaire de la vallee du Jordain, Amman: Economic.

المستوى الحضاري للجانب الشرقي من نهر الأردن من حيث طرز العمارة والأدوات، وتطور الزراعة وتدجين الحيوانات.[13]

خلال العصر الحجري النحاسي 4200 - 3200ق.م

ظهرت خلال هذا العصر مدن كبيرة على الجانب الشرقي من نهر الأردن وخاصة في الجزء الجنوبي حيث يتواجد موقع تليلات الغسول [14]وطبقة فحل[15] ومواقع أخرى في وادي الكفرين ووادي الأردن بشكل عام حيث تميزت هذه المواقع باستمرار التطور الحضاري واستخدام الحجارة ومعدن النحاس جنباً إلي جنب.[16]

خلال العصور البرونزية المبكرة 3200 - 2200 ق.م

تعددت مواقع هذه الحقبة التاريخية وخاصة فترة العصر البرونزي المبكر الحقبة الأولى وحتى الحقبة الثالثة[17] وظهرت قرى ومباني وأدوات تؤكد هذه الحقبة وتوضح أنماط الاستيطان في كل من موقع تل أم حامد الشرقي[18] وكذلك في كل من تل اكتانوا في منطقة حوض الكفرين[19] وتل الحمام[20] ومواقع أخرى عديدة.[21]

خلال العصر البرونزي المبكر الحقبة الرابعة 2200 - 2000 ق.م ظهرت هذه الحقبة في عشرات المواقع على طول امتداد وادي الأردن الجانب الشرقي من نهر الأردن في مواقع تل أبو النعاج، تل الحيات ، تل أم حماد[22]، وكذلك في تل اكتانوا[23] وفي تل أبو هابيل الشمالي وأبو الخرز وأبو قرف قرب دير علا وفي تل الحندقوق.[24]

---

[12]Dollfus 1993 Recent Researches at Abu Hamid, ADAJ,37,241 – 261.

[13]Rolefson,G 2001 The Neolithic Period in Jordan, Archaeology of Jordan,P. 67-105.

[14]Bourke, S 1997 The urbanization Process in the south Jordan Valley: Renewed Excavation at Teleilat Ghassul 1994/1995 in M. Zaghloul etal(eds) studies in the History and Archaeology of Jordan-VI:249- 59 Amman.

[15]Bourke,s, 1999 Preliminary report on the university of Sydney, s Eighteenth and Nineteenth seas ella (Tabeqat Fahl) in 1996/1997 ADAJ,45,120.

[16]Bourke,s, 2001 The Chalcolithic Period,p. 107- 162.

[17]Jotte, A,H 1993 Settlement and society in the early bronze I and II.

[18]Betts, A 1992 Excavations at Tell um-Hammed. The Early Assemblages (EBI-II) Edinburgh University Press.

[19]Prag, K 1991 Preliminary Report on Excavations at tell Ikatanu, Jordan, Levant 21,33-45.

[20]Prag 1993 Excavations at Tell el-Hammam 1990, Syria, 70(1.2) in K. Yassine(ed.) the Archaeology of Jordan: Essays and Report 159-207. Amman, University of Jordan.

[21]Ibrahim,M etal 1988 The East Jordan Valley Survey 1975 (parts 1-2) in Kassine (ed.) The Archaeology of Jordan: Essay and Reports 159 – 207. Amman, University of Jordan.

[22]Ibrahim etal 1988: 191.

خلال العصر البرونزي المتوسط 2000 - 1600 ق.م

ازدهرت الحضارة في الشرق خلال هذه الفترة التاريخية وخاصة مواقع الجانب الشرقي من نهر الأردن حيث ازداد الاستيطان قرب نهر الأردن في مناطق مثل وادي العرب[25] وفي وادي زقلاب[26] وفي طبقة فحل والحمة[27] وظهر تنوع في العمارة المدنية والعسكرية والدينية خلال هذه الحقبة.

خلال العصر البرونزي الأخير 1600 - 1200 ق.م

استمرار الاستيطان خلال هذه الحقبة في عدة مواقع منها في تل المقبرة، تل أبو الخرز، تل الساخنة السعيدية، كريمة ، تل المزار.[28]

خلال العصر الحديدي 1200 - 533 ق.م

استمر الاستيطان خلال هذه الفترة حيث انتشرت المواقع على طول امتداد النهر من الجانب الشرقي وظهرت المخلفات الأثرية والأدوات المؤرخ لهذه الحقبة في مواقع تل أبو الخرز[29] ودير علا[30] واستمر الاستيطان خلال العصر الحديدي الثاني في مواقع نمرين[31] وطبقة فحل وتل السعيدية.[32]

خلال العصر الهلنستي 533 -1م

---

[23]Prag, K 1989 The Intermediate Early Bronze – Middle Bronze Age sequences at Tell Iktanu Reviewed BASOR, 264, 61-72.

[24]Prag, K 1989 The Intermediate Early Bronze – Middle Bronze Age sequences at Tell Iktanu Reviewed BASOR, 264, 61-72.

[25]Hanbury Tension,J 1984 Wadi Arab Survey 1983, ADAJ 28: 385-424

[26]Banning Land Fawcettc/ 1983 Man- Land relationship in the Ancient Wadi Ziglab ADAJ 27:291-309.

[27]Petocz, D and Villiersl 1984 Wadi Hammeh Survey ADAJ 28:77- 81.

[28]Yassine etal 1988 The East Jordan Valley Survey, 1975, in K.H. Yassine (ed) Archaeology of Jordan Essays and Reports, 159- 207>

[29]Fischer, J 1994 Tell Abu al-Kharaz. The Swedish Jordan Expedition 1992. Third Season, ADAJ 38,127-45.

[30]Franken,H 1969 Excavations at Tell Dier Alla Liden and Bourken, H 1997 pre classical pella in Jordan, Aconspectus of ten Years Work Palestine Exploration Quarterly 129, 94 – 115.

[31]Flangen, J etal 1994 212-216 Tell Nimrin preliminary Report on the 1993 Season. ADAJ. 38,205-44.

[32]Tubb, J 1988 Tell es- Saidiyeh: Preliminary Report on the First Three Seasons of renwed excavations, Levant 20:23-88

رغم ندرة مواقع هذه الفترة في منطقة وادي الأردن إلا ان ما تم الكشف عنه في مواقع مثل تل السعيدية[33]، تل المزار[34]، دير علا[35] ما هو إلا دليل واضح على أهمية المنطقة خلال تلك الفترة التاريخية وارتباطها بالعصر الهلنستي.

خلال العصر الروماني1 - 333م

وخلال العصر الروماني شهدت الأردن تطوراً واضحاً في إنشاء المدن والمرافق التابعة لها وحظيت منطقة الجانب الشرقي من نهر الأردن بإنشاء مدينة طبقة فحل Pella[36] وأكدت نتائج التنقيبات الأثرية تنوعاً في طرز العمارة والزخارف في هذه المواقع[37] إضافة إلي ما تم الكشف عنه من بقايا الطرق وخاصة طريق أريحا ـ حسبان عبر نهر الأردن.[38]

خلال العصر البيزنطي 333 - 636م

وخلال العصر البيزنطي استمر الازدهار في منطقة الجانب الشرقي من نهر الأردن وظهرت المباني المدنية والدينية مثل الكنائس وإضافة إلي ما تم الكشف عنه حديثاً في طبقة فحل[39] وخاصة كنائس الموقع[40] ومواقع بيزنطية [41]منتشرة هنا وهناك على طول امتداد النهر ولا يفوتنا الاكتشاف الحديث وهو مغطس السيد المسيح.[42]

خلال العصور الإسلامية 636 - 1400م

[33]Pritchard, J 1985, Tell es- Saidiyeh Excavations on the Tell 1964- 1966 Philadelphia,PA: university of Pennsylyvania.

[34]Yassine and Teixidor 1988 Ammonite and Aramic Inscription from Tell el- Mazar in Yassine, Archaeology of Jordan. P 137-42.

[35]Van der Kooij 1987 Tell Deir Alla, (East Jordan Valley) during the Archaemenid period: some Aspect of the culture in H. sancisi.

[36]Mc Nicoll, A etal 1982 Pella in Jordan I, An Interim Report on the joint expeditions of Sydney and the Collage of Wooster Excavations at Pella 1979-1981. Canberra.

[37]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[38]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[39]Mc Nicoll A etal 1992 pella in Jordan The Second Interim of the joint expeditions of Sydney and college of Wooster excavations at pella 1982-1985 Sydney.

[40]Mc Nicoll, A etal Pella in Jordan II, Sydney.

[41]Piccirillo, M 1985 Rural Settlement in Byzantine Jordan in A. Hadidi(ed) studies in History and Archaeology of Jordan II. 257-61 Amman, Department of Antiquities

[42]Waheeb, M, 2001 Wadi al- Kharrar, in AJA, 106, p445.

وخلال الفترة اللاحقة للعصر البيزنطي استمر الجانب الشرقي يقوم بدوره بشكل فعال خلال العصور الأموية والعباسية والفاطمية وأظهرت التنقيبات الأثرية استيطاناً إسلامياً في كل من طبقة فحل حيث كشف عن بقايا قرية كبيرة[43] إضافة إلي مواقع أخرى على طول امتداد نهر الأردن.

طبوغرافية النهر:

يجري نهر الأردن 200 كيلومترا في وادي الصدع العظيم ("وادي الأردن) الذي يبلغ طوله 644 كيلومترا ممتدا وحتى إفريقيا قبل 20 مليون سنة حدث تغير في قشرة الأرض السطحية، حيث حدث صدعان متوازيان في قشرة الأرض بدأ في موزمبيق وبحيرة نياسا مروراً بأثيوبيا والبحر الأحمر والعقبة ووادي عربة والبحر الميت ونهر الأردن. وتظهر الخرائط بوضوح حافتا الصدع على جهتي البحر الأحمر ووادي الأردن.

تكون الجزء السفلي من وادي الأردن نتيجة لصدع رابع حدث قبل مليوني سنة، ويشكل هذا أخفض بقعة على وجه الأرض حيث تصل إلي 783 متراً تحت مستوى سطح البحر، وكانت المنطقة من بحيرة طبريا حتى البحر الميت تعتبر تجمعاً مائياً واحداً يطلق عليه بحيرة اللسان، وفي مرحلة الجفاف جفت بحيرة اللسان تاركة وراءها بحيرة طبريا والبحر الميت.

يختلف نهر الأردن عن باقي أنهار العالم، إذ أنه يصعد في بعض الأحيان فوق مستوى البحر، ولكن مجراه في المجمل تحت مستوى سطح البحر حتى أنه ينحدر إلي 1400 متراً تحت مستوى سطح البحر إلي أن يصب في البحر الميت.

وصف الرحالة:

ذكر اليعقوبي منبع نهر الأردن فقال في الحديث عن جند الأردن:"مدينة طبرية وهي مدينة الأردن وهي في أسفل جبل على بحيرة جليلة يخرج منها نهر الأردن المشهور".[44]

وقال ابن الفقيه:"وقال ابن شوذب تغور المياه قبل يوم القيامة إلا بئر زمزم ونهر الأردن[45] وهو الذي قال عز وجل:"إن الله مبتليكم بنهر".[46]

---

[43]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

[44]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

[45]Walmsley, A 1992 The social and economic regine at Fihll (Pella) between the 7th and 9th centuries. In p. canivet and J.P.Rey Coquais (eds) La Syrie du Byzance al'Islam VIIIe siecles, 249-61, Ddamascus.

وقال ابن حوقل:"وحوران والبثنية رستاقان عظيمان من جند دمشق مزارعهما مباخس ويتصل أعمالهما بحدود نهر بين الذي عند البلقاء وعمان الذي جاء في الخبر انه نهر زكي الحوض وأنه ما بين بصري وعمان. كما انه وضعه على رسمه لصورة بلاد الشام فكانت بحيرة طبريا على الطرف الأعلى وكانت بحيرة زغر على الطرف السفلي.[47]

وقال المقدسي:"ونهر الأردن ينحدر من حلف بانياس فيتبحر بإزاء قدس ثم ينحدر إلي طبريا ويشق البحيرة ثم ينحدر في الأغوار إلي البحيرة المقلوبة وهي مالحة جداً وحشة مقلوبة نتنة فيها جبال وليس فيها أمواج كثيرة.[48]

وأضاف في موضع آخر:"وأما سيحان وجيحان وبردان فإنهن أنهار طرسوس وأذنة والمصيصة يخرجن من بلد الروم ثم يفضن في البحر وكذلك سائر أنهار الشام إلا نهر بردى والأردن فإنهما يفيضان في البحيرة المقلوبة".[49]

وتحدث عن المسافات فقال:"وتأخذ من بيت المقدس إلي بيت جبريل أو إلي مسجد إبراهيم أو إلي نهر الأردن مرحلة مرحلة... وتأخذ من نهر الأردن إلي عمان مرحلة.[50]

وقال أبو عبيد البكري:"... مدينة بانياس، وها هنا ينبع ماء نهر الأردن وعليه الأرحاء، ويذكرون أنها كانت تقف يوم السبت فلا تطحن، وكان انخسف نصفها وتعلق الناس بالمسيح أن ترفع فأبى ورفع رجله حتى انخسف نصف الأرحاء، وفيها أحيا المسيح بنت أدران الملك بعد عشرة أيام، وعمل العجائب في تلك المدينة".[51]

وقال موضحاً في موضع آخر:"والبحيرة المنتنة بأرض العراق وهي لاتقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الأردن، فإذا انتهى إلي البحيرة المنتنة خرقها وانتهى إلي وسطها، وهو نهر عظيم لا يدري اين غوصه من غير أن يزيد في البحيرة المنتنة شيئاً".[52]

وجاء في معجمه:"الأردن نهر بأعلى الشام، وهو نهر طبرية قال يعقوب:وأصل هذه التسمية في اللسان النعاس، ومن حديث مكحول"أن جزيرة العرب لما افتتحت قال رجل عند ذلك: أبهوا الخيل والسلاح، فقد وضعت الحرب أوزارها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرد قوله عليه وقال: لاتزالون تقاتلون الكفار حتى يقاتل بقاياكم الدجال ببطن الأردن، أنتم من

---

[46] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[47] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[48] القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 249.

[49] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[50] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[51] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

[52] المقدسي، محمد بن أحمد (ت نحو 380هـ) حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل.

غربيه، والدجال من شرقيه". قال الراوي: ما كنت أدري اين الأردن حتى سمعته من رسول الله ﷺ.[53]

وفيما ذكره الزهري :"وأما أنهار الشام فكثيرة أيضا أعظمها وادي الأردن، ومبدأ هذا النهر من جبل باوان الذي بأرض القدس ومساحته من هذا الموضع إلي أن يقع في البحر الرومي مائة وعشرين فرسخاً[54] كما أنه أضاف في موضع آخر قال:"وبمقربة من بيت المقدس الجبل المسمى بجبل بلدان، ومنه ينبعث النهر المسمى بنهر الأردن، وفي هذا الجبل كان الجذع الذي تحته عيسى ابن مريم عليه السلام، ويقال ان في هذا الجبل أشجاراً كلها مائلة تنوي السجود".[55]

ومما ذكره الإدريسي:"وبين وادي الأردن وبيت المقدس مسافة يوم واحد من قبل أن تصل إلي وادي الأردن مدينة أريحا وبينها وبين الوادي ثلاثة أميال، وعلى الوادي المسمى الأردن كنيسة عظيمة على اسم شنت يوحنا يسكنها رهبان الإغريقيين، ووادي الأردن يخرج من بحيرة طبريا ويصب في بحيرة سادوم وعاموراء اللتين كانتا مدينتي قوم لوط فغرقهما الله بذنوب أهلها ومما يلي قبلة وادي الأردن برية متصلة"[56]. وأما ياقوت فقد اجتهد في تفسير معنى كلمة الأردن وقال:"قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف: هما أردنان: أردن الكبير وأردن الصغير، فأما الكبير فهو نهر يصب إلي بحيرة طبرية، بينه وبين طبرية، لمن عبر البحيرة في زورق اثنتا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر، فتسقي أكثر ضياع جند الأردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه إلي البحيرة التي عند طبرية، وطبرية على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة، فهذا النهر أعني الأردن الكبير، بينه وبين طبرية البحيرة، وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور، فيسقي ضياع الغور، وأكثر مستغلتهم السكر، ومنها يحمل إلي سائر بلاد الشرق، وعليه قرى كثيرة ومنها بيسان وقراوا وأريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين، ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً، فيسقي ضياع الغورو ضياع البثنية ثم يمر حتى

---

[53] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138.

[54] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138

[55] أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، عالم الكتب،ج1،ص137-138

[56] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي".[57] وقال ابن السعيد المغربي:"ونهر الأردن المعروف بالشريعة يخرج من بحيرة طبرية ويمر بالغور حتى يصب عند أريحا في هذه البحيرة الميتة فلا يزيد".[58]

كما ذكره شيخ الربوة حيث قال:" نهر الأردن وهو الشريعة نهر غزير الماء من بانياس ويمتد إلي الحولة فيعمل بحيرة تسمى بحيرة قدس باسم مدينة دمنتها بالجبل، وقدس ملك لتلك الأرض، وينصب إلي تلك البحيرة أنهار وعيون ثم يمتد في الخيطة إلي جسر يعقوب إلي تحت قصر يعقوب إلي أن يصل إلي بحيرة طبريا فيصب فيها، ثم يخرج إلي الغور ويخرج من حمامات طبرية مياه ساخنة مالحة هي من العجائب في سخونتها ثم نهر يصب في بحيرة طبرية ويخرج من الحمة التي هي قرية يقال لها جدر وفي هذه العين منافع كثيرة لأمراض كثيرة في الناس يخرج من الحمة نهر كبير يلتقي هو والخارج من بحيرة طبريا إلي مكان يقال له المجامع في الغور ويصيران نهراً واحداً، وكلما امتد منحدراً غرز ماؤه وكثر وينصب إليه من بيسان من أعين إلي هذا النهر وينصب إليه أعين أخري ويمتد إلي بحيرة زغر المالحة المنتنة وتسمى بحيرة لوط فينصب فيها ولا يخرج منها.

وهذه البحيرة لاتزيد في الشتاء لزيادة المياه المنحدرة إليها فإنها مياه كثيرة ولا تنقص في الصيف، ولا يزال هذا النهر فيها ليلاً ونهاراً، وللناس في مغيض الماء فيها أقوال فمن الناس من قال أن الماء بحر أرض بعيدة يخرج فيها فيسقيها ويزرعوا عليه ويشربوا من مسيرة شهرين، ومن الناس من يقول أن أرضها شديدة الحرارة ومعادنها كبريتية ملتهبة فهي لاتزال ترفأ بخاراً متحللاً بخلقة الماء الداخل ويتحلل بخاراً كذلك، وقيل بل هي خسفة في الأرض متصلة ببحر القلزم، وقيل بل هي خسفة لا قرار لها ... ونهر الشريعة كأنه في الاعتبار فلك دائرة يطلع من أول الغور من بحيرة قدس ويتوسط ببحيرة طبرية ويغور في بحيرة زغر".[59]

وقال أبو الفداء:"بحيرة زغر وهي البحيرة المنتنة ويصب فيها نهر الأردن وهو نهر الشريعة ويغيض الماء فيها ولا يخرج منه شيء من الأنهار بل مغيض لتلك المياه العظيمة..."[60]

---

[57] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

[58] الإدريسي، محمد بن محمد(ت560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، عالم الكتب،1989،ص 361-362.

[59] شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي(ت727هـ) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد، مكتبة المثنى(د.ت) ص107-109.

[60] أبو الفداء، إسماعيل بن محمد(ت732هـ) تقويم البلدان، اعتنى بطباعته جوزيف رينود، ماك يسلان،باريس، دار الطباعة السلطانية 1840 ص39.

كما أضاف في موضع آخر:" نهر الأردن وهو نهر الغور ويسمى الشريعة أيضاً، وأصله من أنهار تصب من جبل الثلج إلي بحيرة بانياس ويخرج منها نهر الشريعة المذكور ويسير ويصب في بحيرة طبريا، ثم يخرج من بحيرة طبرية ويسير جنوبا ويصب في الشريعة بعد انفصالها عن بحيرة طبرية نهر اليرموك بين القصير وبين بحيرة طبرية،وتسير الشريعة وهي نهر الأردن المذكور في وسط الغور جنوبا ويتجاوز بيسان عند طول 58 وعرض 32 و 50 دقيقة ويتجاوزها ويسير جنوبا إلي أريحا عند طول ست وخمسين وثلث وعرض إحدى وثلاثين وكسر ثم يسير جنوباً ويصب في البحيرة المنتنة".[61]

وقال ابن الوردي:" والأردن هو نهر يخرج من بحيرة طبرية ويحط في بحيرة سدوم وعامورا مدائن لوط".[62]

وذكر ابن تميم المقدسي:"والأردن هو النهر المعروف بالشريعة المذكورة في قوله:" إن الله مبتليكم بنهر" ويقال أن يحيي بن زكريا عليه السلام صبغ عيسي بنهر الأردن".[63]

أما الحميري فقال:" الأردن، نهر بالشام وهو نهر طبرية عليه مدن وكل من على جنبيه أردني"[64]

أما مجير الدين الحنبلي فقد ذكر وصفاً لحدود نهر الأردن وأضاف: إن الله أمر عيسي بن مريم عليه السلام أن يدعو الناس إلي دين النصارى غمسه يحيي في نهر الأردن ولعيسي نحو ثلاثين سنة، وخرج من نهر الأردن وابتدأ بالدعوة.[65]

ونهر الأردن في الشعر في قول عائشة الباعونية لما بنى الملك الظاهر برقوق جسر الشريعة:

بني سلطاننا برقوق جسراً ... بأمر والأنام له مطيعة
مجازاً في الحقيقة للبرايا ... وأمر بالمرور على الشريعة[66]

---

[61] أبو الفداء، إسماعيل بن محمد(ت732هـ) تقويم البلدان، اعتنى بطباعته جوزيف رينود، ماك يسلان،باريس، دار الطباعة السلطانية 1840 ص39

[62] أبو الفداء، المصدر نفسه،ص48.

[63] أبو الفداء، المصدر نفسه،ص48.

[64]ابن تميم المقدسي،أبو محمد بن تميم(ت765هـ) مثير الغرام إلي زيارة القدس والشام(تحقيق) أحمد الخطيمي،بيروت،دار الجيل، 1994 ص285، ويقصد بصبغ هو تعميد السيد المسيح في مياه نهر الأردن.

[65] الكردي، محمد علي الصوريكي، الأردن في شعار العرب،ط2،عمان، وزارة الثقافة والتراث القومي، 1988،ص105.

[66] عبد الغني النابلسي، عبد الغني إسماعيل بن عبد الغني(ت1143هـ) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986،ص137.

وكان عبد الغني النابلسي قد مر بالغور في رحلته سنة 1105/ 1693م وذكر نهر الأردن قائلاً:

يا سقا الله أراضي أريحا جانبا مشرقاً وقفراً فسيحاً
ورعا ثم للشريعة نهراً بزلال المياه كان طفيحاً[67]

الخلاصة:

لعب نهر الأردن دور الحدود، وقد تم تجسيره بسبب وجود 45 مخاضة كونتها الطبيعة فيه. ويصب في نهر الأردن العديد من الينابيع والجداول من الجبال الشرقية والغربية مما أدى إلي انجراف التربة إلي نهر الأردن وبالتالي تكونت هذه المخاضات.

وشكل نهر الأردن حاجزاً بين سكان الضفتين، ولم يكن في وسع أحد أن يعبر النهر إلا عبر هذه المخاضات التي جاء ذكر بعضها في كتب الرحالة.ومن أهم المراجع التاريخية عن هذه المخاضات في العهد البيزنطي هي خارطة فسيفساء مأدبا، اكتشفت هذه الخارطة عملية القيام بعبور النهر من خلال بنائين يمر بينهما خط أفقي يربط برجين تحتهما قارب، وقد أظهرت صور قديمة بان عبور النهر كان يتم بواسطة قوارب يسيرها السكان عن طريق شد أنفسهم بواسطة حبال، ويطلق عليها المحليين اسم (فلوكة).

وكان الرومان أول من بنى جسراً على نهر الأردن بين القرنين الأول والثالث الميلادي، وما زالت آثار بعض هذه الجسور موجودة في عدة مناطق اسفل بحيرة طبريا (حوالي ثمانية كيلو مترات إلي الجنوب قرب وادي اليرموك في دامية).

واستمر بناء الجسور على نهر الأردن خلال الحقب التاريخية المتلاحقة حيث اشتهر منها ما يلي:

- جسر ديجانية
- جسر المجامع
- جسر الشيخ حسين
- جسر دامية والذي يعرف أيضا بجسر الأمير محمد
- جسر المنداسة
- جسر النبي والذي يعرف أيضا بجسر الملك حسين
- جسر الملك عبد الله

وكان العثمانيون قد بنوا جسراص خشبياً على نهر الأردن لتسهيل العبور في كلا الاتجاهين إلا أنهم دمروا الجسر لاحقاً عام 1917م لمنع الجيوش البريطانية من دخول الأردن.

[67]Piccirillo, M 1997 The Mdaba Map, Travelling Through the Byzantine Umayyad Period, Jerusalem.

ومن أهم نقاط العبور الحالية جسر الملك حسين (للنبي سابقاً) الذي يربط عمان بالقدس وسائر مناطق غربي نهر الأردن، وجسر الشيخ حسين وجسر بنات يعقوب (المجامع) على طريق دمشق - سكة حديد المنشية يلاحظ أن الدراسة قد اوضحت العلاقة بين الاستيطان المكثف الشرقي من نهر الاردن عبر العصور ابتداء من العصر الحجري وحتى نهاية الفترات الإسلامية، ولعل الدافع وراء هذا الاستيطان هو توفر عناصر الطبيعة التي جذبت الإنسان للاستقرار في هذه المنطقة ومن أهم تلك العناصر وفرة المياه وخاصة نهر الأردن والينابيع المتدفقة عبر السفوح باتجاه نهر الأردن إضافة إلي ملائمة المناخ وخصوبة التربة، وقد أكدت الدراسة ازدياد النشاط السكاني في هذه المنطقة خلال فترة العصور البرونزية وخاصة العصر البرونزي المتوسط الذي شهد ازدياد في حجم الاستيطان وتطوراً في اساليب العمارة والفنون واستمر ذلك بوتيرة ثابتة خلال العصور اللاحقة مثل العصر الحديدي، الروماني، البيزنطي والإسلامي، كما تبين وجود الاستيطان الموسمي في المنطقة حيث تم الإقامة في عدد من المستوطنات الزراعية في الجانب الشرقي من نهر الأردن خلال فصل الشتاء ثم لا يلبث السكان أن يتركوا هذه المستوطنات حال قدوم فصل الصيف الحار وهكذا على مدار العام.

ويشار إلي أن، وجود نهر الأردن قد أكد التواصل الحضاري ما بين الجانبين الغربي والشرقي منه كونه شريان الحياة الذي يغذي جانبي مجراه والأماكن المحيطة، حيث كان ولا زال نهر الأردن يمثل عامل الاستقرار نتج عنه تطور حضاري في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدينية بحيث لم تفعل تلك التجمعات السكانية من حوله الجانب الروحي فتم الكشف عن أماكن العبادة والصلاة في هذه المنطقة ابتداء من العصور البرونزية وحتى وقتنا الحاضر. ولا يفوتنا ذكر ما تم الكشف عنه حديثاً ألا وهو مكان عماد السيد المسيح قبالة مدينة أريحا على الجانب الشرقي من نهر الأردن لما يمثله هذ الحدث الديني من أهمية كبرى لنهر الأردن ودوره الحضاري حيث ما زال محط أنظار الحجاج ومقصداً للسياحة البيئية بما يحويه من أنواع النباتات والحيوانات والطيور. وقد ركز الجغرافيون العرب في وصفهم لنهر الأردن ومحيطه على منابع النهر وجريانه من المناطق المرتفعة نحو أخفض بقعة على سطح الكرة الأرضية ومن ثم مصبه في البحر الميت الذي وصف بأنه بحر لا حياة فيه، كما ربطه البعض بالأحداث الدينية مثل(غمس) السيد المسيح فيه (العماد) كما وردت إشارات إلي أسماء بعض القرى والمدن التي كانت متواجدة على طرفي النهر والتي تتأثر بفيضان النهر خلال موسم الشتاء.

ولا يحافزنا شك أن وصوفات الرحالة رغم أنها جاءت مقتضبة احيانا وغير ومليئة إلا انها أفادت في تعريف القارئ بكافة الأحوال المرتبطة بنهر الأردن ابتداء من منابعه وحتى مصبه.